

خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٦ من ذي الحجة ١٤٣٥ هـ / ١٠ من تشرين الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضى اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك، وبر قسمك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، فلم تبق حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين. عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى رحمته في محكم التنزيل: ﴿وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]

معاشر الإخوة: يقول المفكرون والعلماء إن فترة الشباب هي أخصب مراحل العمر وأجدرها بحسن الإفادة وعظم الإجادة فهي القوة الظاهرة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، وقد قرر القرآن الكريم ذلك في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] ومن ثم كان على المرء أن يقدم حساباً عن حياتها كلها، وحساباً خاصاً عن طور الشباب وحده، فهو طور له خطره وأثره، حيث قال عليه السلام: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، منها: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه) والحق أن أمجاد المتفوقين وأشواط الصاعدين إنما تستمد حركتها وبركتها من جهودهم أيام الشباب، واستغلالهم عرمة إقدامه في السبق والانطلاق، على أن الشباب وإن اكتنفته من طرفيه المتباعدتين الطفولة والشيخوخة إلا أنه يصعب وضع حدود زمنية لعهد السعيد، فهناك رجال تظل وقدة الشباب حارة في دمهم وإن أنافوا على الستين، لا تنطفئ لهم بشاشة ولا يكبو لهم أمل ولا تفتقر لهم همة، وهناك شباب يجنون حبواً على أوائل الطريق، لا ترى في عيونهم بريقاً، ولا في خطاهم عزمًا، شاخت أفئدتهم في مقتبل العمر، وعاشوا في ربيع العمر لا زهر ولا ثمر، ومن الخطأ -يا سادة- أن نتصور الشباب قدرة جسد وفناء غريزة، لا، إن

الشباب توثب روح واستنارة فكر وطفرة أمل وصلابة عزيمة، فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة والعواطف السائرة، لكنها ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط، بل إنها كذلك عهد النزعات النفسية الجياشة، يمدّها الخيال الخصب والرجاء البعيد، والأمم تستغل في شبابها هذه القوى المذخورة، وتجندّها في ميادين الحرب والسلم لتدلل بها الصعاب وتحقق أهدافها، ونجاح النهضات الكبيرة يرجع إلى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهمهم، وإلى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم، بيد أن هناك رجالاً تأخرت بهم السن وذهبت عنهم صورة الشباب، وتكاثرت الصلوات التي تربطهم بالدنيا، ومع ذلك فإن جذوة اليقين المتقدة في قلوبهم تُمسك بالشباب عن جلودهم وعظامهم وتبقيه، بل تُضاعفه في قلوب تنبض بالحق، وتدفعه في العروق مع الدم، فإذا أنت ترى منها بأس الحديد وجرأة الأسود، وترى رجالاً تستهويهم المغامرة، ويطيرون إلى التضحية في سبيل الله والدفاع عن أوطانهم أخف من الشباب الغض، قد يُقبل الشباب على المخاطر، وسبل البذل أمامهم ميسرة، فهو إن أسر لم يجزع على أسرة يعولها، وإن قتل لم تبكه امرأة أيم ولا ولد يتيم، وخفة حمله من هذه الناحية تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب، أو تزيح العوائق من أمامه إذا ثارت في دمه نوازع النجدة، أما البطولة الحقيقية فهي أن يكون المرء رب أسرة، يضرب في مناكب الأرض لرعايتها، ويسير في الحياة وهو موقن بأثقالها، غير أنه وهو الزوج المحب والأب الرحيم والراعي المسؤول مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله، مخلص للدين الذي اعتنقه، مقدر للحقوق التي ارتبطت به، فإذا أحس للوطن طلباً سارع إليه ولباه بروحه وماله، ولم تشغله أعباء الحياة التي يكدح فيها عن مطالب المثل العليا التي آمن بها، وهنا يجدر بنا أن نُشير إلى دور المرأة في معركة الحياة، وإلى أهمية دعم زوجها بالمعنويات وزرع الثقة بنفسه، فالمرأة الجبانة تُعجز زوجها عن النهوض بالواجبات وتحمل المخاطر واقتحام العقبات، والمرأة البخيلة تمنع زوجها من بذل العون وإكرام الضيف ودعم الضعاف، إن الخذلان في الداخل يعوق الامتداد في الخارج، ويجعل الرجل محدود العمل ضمن نطاق معين، وقد أمر الله عز وجل الرجال أن يُلبوا نداء التضحية والدفاع عن أوطانهم وعن عقائدهم، ولو تعلقت نسائهم بأذيالهم، وحذرهم من النكوص وإيثار الراحة واجتماع الشمل على حساب المبادئ والعقائد، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] العداوة هنا ليست الخصومات المعروفة، إنما هي التزام الرجل أمام مطالب أسرته وعوده عن الواجب كي يبقى إلى جوارهم، ولو قرأنا تاريخ السلف الأول وتدبرنا سيرتهم

لوجدنا تعاوناً فريداً بين أعضاء الأسرة على خدمة الحق ومناصرته، إن صرح الحياة قام على توضيحات ثقال، قامت بها أسر شجاعة، توأصى رجالها ونسائها بالصبر والحق، ومما رمتنا به -يا سادة- عصور الطراوة والانحلال أنك تجد الكثير من الناس يؤمنون أن بقاء المرء بين جدران البيت وأحضان الأهل أصون لحياته من الهلاك، وإنك لتعجب عندما تسمع رجلاً من ضعف الإيمان والنفوس يقول: "رحم الله فلاناً، ما كان يستحق هذا المصير المحزن" مع الأسف، إن هذه السوءة الخلقية والعقلية تشيع في زماننا هذا، وتنطق بأننا أجهل الناس في فقه الرجولة وفقه الإيمان معاً، وإن الرجال العظماء كانوا يتمنون من أعماق قلوبهم أن تثوى جثثهم ممزقة في حواصل الطير وأجواف الوحوش وهم هلكى، لا بين أحضان الأهل الباكين والأحباب الموسين، ولكن في وحشة الصحراء ورحاب الميادين، أو في أي أفق مُبهم من أعمار الدنيا، هكذا مضت سنة الإيمان منذ أبرم عقد الجنة، ووصف الله من وقعوا عليه بأنهم يقتلون ويُقتلون، حيث قال المولى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] وهكذا مضت سنة الرجولة من قديم الزمان، فاعتبرت موت الرجال بين أهله معرة الأحرار وحملة العقائد وأصحاب المثل وسدنة الشرف والمكرمات مصارعهم تحمر بها صحائف التاريخ، ويلبس الشفق القاني ثوبه الأرجواني منها، وبذلك المعنى هتف الشاعر قائلاً:

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة *** إذا ما رأته عامر وسلول

وما مات منا سيد حتف أنفه *** ولا غل منا حيث كان قتيل

أجل هذه شارات السيادة، لا يموت رجل حتف أنفه، ولكن يموت في ساحات الوغى.

لما قتل الأمويون مصعب بن الزبير، قام أخوه عبد الله خطيباً فخطب بالناس، فكانت خطبته تعبيراً لربي أمية أنهم يقتلون على فرشهم، أما آل الزبير فقد كُفِنوا في دمائهم بطلاً من بعد بطل، وفي الجاهلية قبل الإسلام، كان دريد بن الصمة يُفخر بأن لحم أسرته طعام السيوف، وأن القتل استهدفهم لأنهم استهدفوه، وتلك شيمة العظماء، وإنا لنقول للمرأة الجبابة التي لا تُرسل بأولادها إلى صفوف المدافعين عن أوطانهم وعن عقائدهم، من أجل الدفاع عن الوطن، من أجل الدفاع عن التاريخ، من أجل الدفاع عن حضارة،

من أجل الدفاع عن حياة أجيال قادمة، نقول لها: إن نساء قريش كن أشرف منكن ومن أمثالكن، نساء قريش في معركة أحد، خرجن وراء الجيش وراء رجالهن وكن يمشين، يُحفزون الجيش على القتال ويقولون: إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق*** أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

المرأة تقول للرجل: سأطلقك إن لم تكن رجلاً، لا تصلح للميدان، لا تصلح للدفاع عن وطنك، لا تصلح للدفاع عن عقيدتك، هكذا كان المشركون عقيدتهم، ما بالنا نحن المسلمين، ما بالنا نحن الذين نؤمن بالله سبحانه، نخشى على أولادنا من الموت والهلاك، ولا نُرسلهم إلى القتال، إلى ميادين القتال والدفاع عن أوطانهم، في الوقت الذي نرى فيه أعداء هذه الأمة من غرب ومن عرب يتآمرون علينا بليلهم ونهارهم، ويمكرون بهذا الوطن وبهذا الشعب، لكي ينالوا منه، ما عجزت عنه أمريكا -يا سادة- ما عجزت عنه أمريكا وحلفائها، ما عجزوا عن أخذه من فوق الطاولة يُحاولون أخذه من تحت الطاولة، ويعملون جاهدين أن يُدخلوا سوريا في نفق طويل ومظلم، لكي تتحول ساحات هذا الوطن إلى حمامات دم، كما فعلوا في العراق، فهل نتخاذل بعدما يجري في هذا الوطن؟ هل هذا الأمر يجعلنا ويدعوننا إلى أن نمنع أولادنا من الالتحاق بصفوف الجيش العربي السوري للدفاع عن هذا الوطن؟ ما يجري في عين العرب اليوم عند أهلنا الأكراد، عند أحفاد صلاح الدين، وهنا يجدر بنا -يا سادة- أن نتوجه إلى أهلنا الأكراد العظماء الشرفاء الأوفياء المحبين لسوريا المحبين والعاشقين لتراب هذا الوطن، نتوجه إليهم بالتحية والإجلال والإكبار، ونقول لهم: لا نخشى على عين العرب مهما أصابها ومهما فعل بها، ما دام فيها أمثال الفتى الجيلاني، ما دام فيها أمثال النسوة اللواتي يقمن بعمليات استشهادية ضد الجرائم التي ترتكبها داعش والنصرة بحقهم، يا أحفاد صلاح الدين في عين العرب، ستنتصرون في النهاية، وستقدمون الشهداء والتضحيات من أجل الدفاع عن هذا الوطن، وكل سوري شريف وكل عربي شريف في هذا العالم يقف إلى جانبكم ويدعو لكم بالنصر والتوفيق في ليله ونهاره، إن أهلنا في عين العرب يخطون أمجاد التضحيات، إن أهلنا العظماء في عين العرب، إن أهلنا الأكراد الأشاوس في عين العرب، سطوروا أجمل التضحيات في الدفاع عن سوريا، والأكراد -يا سادة- لهم تاريخ عريق في حبهم للوطن، لهم تاريخ عريق في تمسكهم بالعروبة والإسلام، فهم رجال أشاوس يحبون العروبة ويحبون بلاد العروبة، وعلى رأسها دمشق قلب العروبة النابض، ويوم أمس كنت أسمع لأحد المحللين السياسيين يقول: إن القائد الخالد حافظ الأسد رحمه الله قال لعبد الله أوجلان: "إذا لم تجد بلداً آمناً في العالم إلا سوريا ودمشق فابق هنا، فإنني مستعد" رحمك الله

يا حافظ يا سيد الرجال والعظماء، قال له: "فإنني مستعد أن أفتح جبهتين من تركيا وإسرائيل ولا أراجع عن موقفي" والأكراد يقدسون حافظ الأسد، ويُحبونه ويحلمونه ويحترمونونه، وهكذا وقفوا مع ولده البار ابن الوطن بشار الأسد، هذا القائد الذي وقف إلى جانب الأكراد، وإلى جانب قضيتهم، وقال لهم وقال للعالم بأسره وعلى رأسهم أردوغان، تركيا التي تحاول تمزيق صفوف الأكراد وسلخهم عن سوريا هذا الوطن الأم، قال لهم: لن نتخلى عنكم، أنتم سوريون، أبناء هذا الوطن، وأنتم عرب أصليون ولستم بعرب مزيفين.

ها نحن -يا سادة- عندما نجد أمثال هؤلاء العظماء يُدافعون عن بلدهم، إنه جدير بنا أن نقنّدي بهم، وأن نحذو حذوهم، ثق تماماً أيها العربي، ثق تماماً أيها المسلم، ثق تماماً أيها السوري، لا يحمي البلاد والأوطان إلا رجالها والعمالقة فيها، لا يحمي الأوطان إلا أهلها، فإذا أنت هربت ولم تحم وطنك، ولم تحم بلدتك، ولم تحم قريتك، من داعش والنصرة وفاحش والتنظيمات الإرهابية والمؤامرات الأمريكية والعربية والخليجية والمؤامرات التركية، من سيصون وطنك، من يحمي عرضك، من يدافع عن كرامتك، أتخشى من الموت، والموت بيد الله ﷻ، أتخشى على حياتك وترضى أن تعيش ذليلاً بين النسوة والأطفال، ولا تفكر في لحظة من اللحظات أو في يوم من الأيام أن تنضم إلى صفوف الجيش العربي السوري لتقاتل مع هذا الجيش العملاق الذي يُسطر التضحيات والبطولات في كل ساعة وفي كل يوم.

واعلموا -يا سادة- أن التاريخ يسجل، وأن الله يسجل، سيكتب التاريخ من كان وفياً تجاه سوريا، تجاه القضية الفلسطينية، تجاه قضية العرب، وسيجل التاريخ من كان متخاذلاً، من بخل بكلمة من أجل الدفاع عن سوريا، سيسجل التاريخ كل متخاذل، سيسجل التاريخ كل رمادي، وعندما تنتصر سوريا لا نرضى أبداً إلا أن ندوس الخونة والمتخاذلين تحت أقدامنا، سنتنصر سوريا والنصر قريب والحرب في أوجها وفي مرحلتها الأخيرة، لكننا نقول للمتخاذلين: ثقوا تماماً أنه لا مكان لكم بعد الانتصار الذي سيشهده العالم بأسره، ومهما طالت الأيام والليالي السود وعمت الأحزان كل قلب وجميع القلوب سيأتي يوم وتزول هذه الغمة وتنكشف هذه السحابة السوداء عن هذا الوطن، عن سماء هذا الوطن، وعن القلوب الحزينة، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية: ٢

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهياً لنا من أمرنا رشداً، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، اللهم إنا نسألك أن تعيد الأمن والأمان إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسد أهدافهم ورميهم، وأن تكون لهم معيناً وناصرًا، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مَدِينَةُ رِيفِ قَاوَمِ مَشِيقَا